

التفسير المطول - سورة الشورى 042 - الدرس 03-15: تفسير الآيات: 09 - 11 - الولي هو الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-02-1994

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الولي هو الله وهو الذي يتولى أمرنا:

أيها الأخوة الكرام؛ مع الدرس الثالث من سورة الشورى، ومع الآية التاسعة وهي قوله تعالى:

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9)

سورة الشورى

الأولياء جمع ولي، والولي هو الذي يتولى أمرنا، يتولى توجيهنا، تستعين به، تسترشد، تحتمي به، تلوذ إليه، فالإنسان لا ينبغي له أن يتخذ من دون الله ولياً، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم، وغيره لا يعلم، فإذا استعنت بمن لا يعلم أوردك المهالك، الله تعالى هو القوي وغيره ضعيف، فإذا استعنت بالضعيف أوردك المهالك، الله سبحانه وتعالى مُسعد وغيره لا يُسعد، فإذا طلبت السعادة في غيره شقيت، لذلك ربنا عز وجل يقول:

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9)

سورة الشورى

هذه الصيغة تفيد القصر لو أن الله سبحانه وتعالى قال: فالله وليك، ليس فيها معنى

القصر، لكن:

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9)

سورة الشورى

أي هو وحده الولي ولا ولي سواه.

## من ضعف تفكير الإنسان وشقائه أن يتخذ من دون الله ولياً:

إذا قلنا: فلان شاعر، يقول شخص: لا، فلان هو الشاعر، أي هؤلاء كلهم ليسوا شعراء من كلمة هو، فالله هو الولي، هذه العبارة تفيد القصر، أي إذا أردت أن تتخذ ولياً ليس لك إلا الله؛ لأنه يعلم وغيره لا يعلم، لأنه قوي وغيره ضعيف، لأنه مُسعد وغيره محزن، فمن ضعف تفكير الإنسان ومن شقائه أن يتخذ من دون الله ولياً.

الحقيقة القضية قد تكون عفوياً، فلا يعقل أن يقول الإنسان: فلان وليي من دون الله. لا، لكن حينما يتجه الإنسان، ويتوهم أن الخير عنده، وأن السوء إذا غضب، وأن السعادة إذا رضي، وأنه بإمكانه أن يعطيك أو أن يمنعك اتخذته ولياً وأنت لا تدري. بوعي الإنسان المسلم صعب أن يقول لك: أنا اتخذت فلاناً ولياً من دون الله، هذه لا تقع، لكن حينما تتساق لإرضاء إنسان، أو حينما تُعجب بقوة إنسان، أو بمال إنسان، أو حينما تتوهم أن هذا الإنسان يُسعدك من دون الله اتخذته ولياً وأنت لا تدري.

## من اتخذ من دون الله ولياً اتخذ شيئاً مُنحطاً:

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ كلمة: ﴿مِنْ دُونِ﴾ الإنسان تَوَاق للكمال، تَوَاق للأقوى، للأعلم، للأجمل دائماً، فعندما يتخذ الإنسان من دون الله ولياً اتخذ شيئاً مُنحطاً، إذا قيس الإنسان بخالق الأكوان لا شيء، قد تحتاجه في أشد الساعات فلا يلبيك، قد تطلب منه فلا يعطيك، قد تستنجد به فلا يُنجدك، قد تعتمد عليه فلا يُعتمدُ عليه، ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ (9)﴾ ربنا عز وجل يؤكّد لنا أن الله هو الولي، لذلك فالله عز وجل يقول:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)

سورة البقرة

الظلمات جمع؛ ظلمات العقائد، ظلمات العادات، ظلمات التقاليد، ظلمات الشهوات، أما النور فواحد، الحق لا يتعدّد، أما الباطل فيتعدّد، آلاف مؤلّفة من ألوان الباطل العقائدي والسلوكي، لكن الحق واحد.

المؤمن إن توسم الخير بمؤمن آخر فهذا لا يتناقض مع التوحيد:

إذًا: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والمؤمن حقيقةً أيها الأخوة يشعر أن الله وليه، هو الذي يتولى أمره، به يستعين، به يسترشد، ألا تقرأون في أول دعاء الوتر:  
عن عبد الرحمن بن أبزي صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الصبح فسمعتُه يقول بعد القراءة قبل الركوع:  
اللهم إياك نعبد، ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين ملحق، اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ونُثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونؤمن بك، ونخضع لك، ونخلع من يَكفرك.

إرواء الغليل : حكم المحدث: إسناده صحيح

أي أن الله هو الولي، والمؤمن حقيقةً إن لم يدرك هذا المعنى فليس مؤمناً، مؤمن على أعتاب كافر؟! مؤمن يظن الخير بالكافر؟! مؤمن يرجو الخير عند الكافر؟! مؤمن يبذل ماء وجهه أمامه؟! هذا مستحيل، يمكن لمؤمن أن يتوسم الخير بمؤمن، هذا لا يتناقض مع توكله على الله عز وجل، يمكن لمؤمن أن يتوسم السعادة إذا عاش مؤمناً أعلى منه، هذا الشيء لا يتناقض مع التوحيد، لكن مؤمن الله وليه يتجه لغير الله؟! يعتمد على غير الله؟! يأنس بغير الله؟! يستعين بغير الله؟! معنى ذلك أنه اتخذه ولياً من دون الله.

على كل إنسان أن ينتبه لقلبه:

أهم شيء للإنسان أن ينتبه لقلبه، على من يعتمد؟ بمن يثق؟ من يسترشد؟ أحياناً لو أن الإنسان سأل عامة الناس في موضوع تأتيه الإرشادات خلاف القرآن الكريم، يقول لك مثلاً: دین فلاناً؟ تقول له: احفظ نقودك بلا جنون، يوجد تضخم نقدي بالمئة سبعة عشر فكيف تدينه؟ لو سألت مئة شخص ينصحك بعدم إقراض الآخرين، أما ربنا فقد قال:  
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ  
وَالِيهِ تُرْجَعُونَ (245)

سورة البقرة

الله عدّ القرض له وليس لعبده، وقال لنبيه داود: عن أبي هريرة:  
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا بَنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي؟ قَالَ :  
يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ؟ أَمَا

عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا بَنَ آدَمَ، اسْتَطَعْتُمْكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَطْعَمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.

صحيح مسلم

الشيء الدقيق في الموضوع أن المؤمن لا يمكن أن يسترشد، أو أن يسأل، أو أن يستصح، أو أن يتحرك بتوجيه غير المؤمن، معنى هذا أنه ليس مؤمناً، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ولاية الله لك أن تطيعه وتنفذ أوامره:

الله توجيهه بالقرآن، إذا احتاج القرآن إلى توضيح فالنبي يفسر القرآن الكريم، وبعد النبي الصحابة، وبعدهم الفقهاء المجتهدون، إذا أردت أنت حكم الشرع في موضوع كأنك تقول: الله وليي، أنا لا أتحرك إلا بتوجيهات ربي، بتعليمات الصانع، بضمون كتاب الله، ألم تقل السيدة عائشة: "كان خلقه القرآن". الحقيقة ولاية الله لك تعني أن تطيعه، قال لك مثلاً:

وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوا بِوَلَايَةِ اللَّهِ كَمَا بَدَأَكُمْ يَوْمَ الْبَرَاءَةِ وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)

سورة البقرة

معظم الأسر يريدون شاباً، يريدون دخلاً كبيراً، يريدون بيتاً واسعاً، يريدون مركبة، آخر شيء يسألون عن دينه، يمشون بخلاف القرآن الكريم، لذلك يعانون من متاعب لا تحتمل، يأتي هذا الخاطب فيذلهم، ويؤذي ابنتهم، وينقص عليهم عيشهم، طمعوا بغناه ونسوا دينه، معنى هذا أنهم تحركوا بتوجيهات غير توجيهات الخالق.

المؤمن الصادق لا يتحرك إلا بتوجيهات خالقه:

ما معنى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ أي أنت لا تتحرك إلا بتوجيهات خالك في بيتك، في زواج بناتك، في تزويج أولادك، في اختيار صنعتك، إذا كانت الصنعة مبنية على معصية أو فيها إعانة لمعصية ربنا قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ  
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ  
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

سورة المائدة

إذا أنت تساهم على تقوية منكر، بمعاونة على اغتصاب حقوق، فهذا عمل لا يرضي الله عز وجل، فلا يوجد مؤمن على الإطلاق يتحرك بتوجيه كافر، لا يوجد مؤمن يتحرك من دون توجيهات خالق الكون، أنت آلة معقدة جداً لك صانع، وكل واحد منا يراقب نفسه إذا اشترى آلة غالية كثيراً، ونفعها عظيم، ودخلها كبير، لا يمكن له أن يسأل جاره، قد يكون جاره إنساناً صالحاً جداً، قد يكون إمام مسجد، أما هذا كمبيوتر، يسأل خبير الشركة، لن يسأل شخصاً أمياً بهذا الموضوع، يقول لك: هذه آلة غالية سأسأل الخبير، يقرأ التعليمات، يترجمها، يهتم فيها، فلماذا أنت في أمور الآلات المعقدة لا تقبل إلا رأي الخبير وإذا كان مهندس جاء من الشركة هذا أقوى بكثير، يمكن ألا يعجبك مهندس مقيم في بلدك، يقول لك: هذا لا يفهم، أنت تريد مهندس الشركة لأنك خائف على الآلة، فلماذا تتساهل في أمر دينك؟ وتتلقى توجيهات من غير الله عز وجل؟ يقول لك شخص: يا أخي ابنك إن لم يتعلم المحادثة في دولة أجنبية فلن يقوى باللغة الإنكليزية، واللغة الإنكليزية أساس التجارة الآن، والله كلام صحيح، لكن غاب عنك أنه هناك يجوز أن يضيع دينه، يجوز أن يرجع إنساناً آخر.

من لوازم إيمان المؤمن أن يعرف أمر الله عز وجل:

المؤمن الصادق لا يتحرك إلا بتوجيهات خالقه، لذلك يسأل، ما أسباب السؤال؟ لأن وليك الله عز وجل، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ما حكم هذا الموضوع؟ هل هو مباح؟ فرض؟ واجب؟ سنة مؤكدة؟ سنة غير مؤكدة؟ مكروه تنزيهاً؟ مكروه تحريماً؟ حرام؟ هذه كل الأحكام، فمعنى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنه لا يتحرك إلا بتوجيهات خالقه، لذلك يسأل عن الحكم الشرعي، لذلك طالب الفقه حتم واجب على كل مسلم، لذلك من لوازم إيمان المؤمن أن يعرف أمر

الله عزَّ وجل، لا يكفي أن يعرف الله، إذاً كيف تعبدته؟ يجب أن تعرف أمره، كيف تتقرَّب إليه؟ بطاعته، أين أمره؟ لاحظ كيف تكامل، معرفة الله تتكامل مع معرفة أمره.

### على كل إنسان أن يتعلم أمور الفقه:

إذا فكَّرت أنت بالكون تعرف الله، لكن إذا قرأت الأحكام الشرعيَّة تعرف أمره، ليس من المستغرب أن يكون في بيت كل مسلم كتاب فقه مثلاً، أحكام الطهارة، أحكام الوضوء، أحكام الصلاة، أحكام الصيام، أحكام الحج، أحكام الزكاة، اليمين، الوكالة، الحوالة، هناك أشياء نتعامل معها يومياً كالشراكة مثلاً، المضاربة، القرض الحسن، وأحكام الربا، من دخل السوق من دون فقه أكل الربا شاء أو أبى.

إذا القصد أن الله ولي الذين آمنوا لا يتحرَّكون إلا وفق تعليماته، إلا بأوامره، إذاً من لوازم هذه الآية أن تتعلَّم أمور الفقه، طبعاً هناك أشياء بالفقه لا بدَّ من أن تعرفها، وهي فرض عين على كل مسلم، مثلاً أحكام الصلاة والصوم والحج والزكاة، مهنتك، حرفتك، كل حرفة لها أحكام فقه متعلِّقة بها، إذا كنت شريكاً فيجب أن تعلم أحكام الشراكة، وإذا كنت طبيباً فأحكام الجُعالة، الطبيب والمحامي والمدرِّس يلزمهم أحكام الجُعالة، إذا كنت تاجراً فأحكام البيع والشراء، هذا إذا أنت آمنت بالله إيماناً حقيقياً، وأردت أن تطيعه لا بدَّ من معرفة أمره لكي يتولاك الله، أنت عندما تتقدَّ أحكام الصانع يتولاك الله.

عندما يمرض الإنسان يلجأ إلى طبيب، لماذا لجأ إليه؟ لعلمه، قال له الطبيب: اترك الملح، وامش كل يوم، وخذ هذا الدواء، هذه تعليمات الطبيب، فمعنى هذا أن الطبيب تولَّى أمر شفائك، مادام تولى أمر شفائك لا بدَّ من طاعته.

### الله عز وجل بعد أن يموت الإنسان يحييه للحساب:

إذا: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ هناك معنى دقيق جداً بهذه الآية، قال: ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي الله عزَّ وجل لخصَّ ولايته بكلمة واحدة، أي تكون ميتاً فتحيا بهذه الولاية، إذا جهل الإنسان ربه، لا يعرف ربه، يتحرَّك من دون طاعة لله عزَّ وجل، يتحرَّك بمعصية، هذا الإنسان ميِّت القلب، إذا عرف ربه، وعرف أمر ربه، واستقام عليه، وأقبل عليه

أصبح قلبه حياً، ربنا قال: ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ يحيي الموتى بالمعنى الضيق، الميت يحييه، إما أنه بعد أن يموت يحييه للحساب، أو موت العدم ولم يكُ من قبل شيئاً، هذا معنى.

الإنسان بلا عمل صالح إنسان ميت ومن عرف الله فهو حي ولو مات:

المعنى الأوسع تؤكد الآيه الكريمة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

سورة الأنفال

تؤكد آية ثانية:

وَأَمَّنْ كَانْ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ  
لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)

سورة الأنعام

معنى هذا أن الإنسان قد يكون ميتاً وهو في أوج حياته، وقد يكون حياً وهو تحت التراب، هذا المعنى العميق للموت والحياة، الموت والحياة بهذا المعنى إنسان بلا عمل صالح، بلا معرفة لله، يعيش لحظته، لشهواته، هذا ميت؛ إنسان عرف الله، عرف أمره، يمشي على منهج، له صلة بالله، يعمل للأخرة هذا حي، لو مات حي، لهذا قال الله عز وجل:

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169)

سورة آل عمران

فولاية الله عز وجل تجعل الميت حياً، وقول الشاعر المشهور:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

صالح بن عبد القدوس

\* \* \*

إذا الإنسان لا يعرف الله كالبهيمة، يتحرك وفق شهواته ومصالحه، ليس عنده قيم، ولا روادع، ولا نوازع، ولا مبادئ، يتحرك كالدابة المتقلّبة من أي منهج هذا ميت.

إن كان الإنسان ميتاً فلا يحيا إلا بالله تعالى:

إذاً ربنا عز وجل يقول: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي هو وحده الولي ولا وليّ سواه، ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أيضاً هذه تطمين، أي أنت عندما اتخذت الله ولياً الله على كل شيء قدير، إذاً ليس هناك مشكلة، لا يوجد همّ، مهما تكن القضية عويصةً، مهما يكن المرض عُضالاً، مهما يكن الفقر مدقعاً، مهما يكن الوضع سيئاً فالله على كل شيء قدير، أي هذه الكلمة تعلّقت قدرة الله بكل ممكن.

إذاً أولاً: إن كان الإنسان ميتاً يحيا بالله، وإن كان يعاني مشكلةً فالله على كل شيء قدير، فلم لا تتخذة ولياً؟! لذلك دعاء السحر: عن أبي هريرة رضي الله عنه:

فَإِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جَلَّ وَعَزَّ فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

مختصر الصواعق المرسلّة: صحيح

ونحن الآن في شهر رمضان، هذا شهر القرب، شهر الاتصال بالله عز وجل، شهر البذل، شهر أن الله سبحانه وتعالى يعافي عباده المؤمنين من جميع الهموم، من جميع المصائب.

### الغافل عن الله إنسان ميت:

إذاً التركيز في هذه الآية: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي لا يوجد غيره ولياً، هو يعلم وغيره لا يعلم، هو قوي وغيره ضعيف، هو يسعد وغيره لا يسعد.

النقطة الثانية: ﴿يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الإنسان بالغفلة عن الله ميت، فإذا أقبل عليه حياً قلبه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي مهما تكن المشكلة كبيرة فالله عز وجل عليها قدير، لذلك الناس حينما يدعون ربهم عز وجل يقول بعضهم: يا رب! يا من لا يعجزك شيء في الأرض ولا في السماوات، على كل شيء قدير، الإنسان أحياناً بجهل منه إذا كان له صلة مع شخص قوي يقول لك: لا يوجد مشكلة عندي، مع شخص عادي، والشخص يجوز أن يموت فجأة، فكيف إذا كان له صلة مع خالق الكون؟

### الله عز وجل حاكم عادل يحكم بين الناس جميعاً:

الآن الآية التي بعدها:



وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ (10)

سورة الشورى

الآن توجد موضوعات خلافية بين الناس لا يعلمها إلا الله، بالعقائد، بالمذاهب، بالتطبيقات، نظريات اقتصادية، نظريات نفسية، علاقات اجتماعية، كل إنسان يدعي أنه على حق وأن نظريته صحيحة، الخلاف واقع، الناس فرق، واتجاهات، وأصحاب مبادئ وضعية وغير وضعية، وكل يدعي وصلاً بليلى، فهذه زحمة الخلافات من يقضي بينها؟ قال: الله سبحانه وتعالى.

إذا كان هناك سبع قطع معدنية صفراء لامعة، وواحدة منها ذهب عيار أربعة وعشرين، والباقي معدن خسيس مطلي بمعدن نفيس، فكل يدعي أنها ذهب خالص، أما هي فواحدة فقط ذهب خالص، لو أنه صار هناك خلاف، ومنازعات، ومشكلات، وأخذ ورد، يأتي الخبير فيقول: هذه الذهب، هذه كلها معدن خسيس، هذه من المعدن النفيس وتلك من المعادن الخسيسة، وانتهى الأمر، فالذي يحكم هو الله عز وجل، وربنا عز وجل يحكم وينفذ.

### الله عز وجل حكمه تنفيذي:

أحياناً تجد خبيراً يعرف الحقيقة لكنه ضعيف، وتجد شخصاً قوياً لا يعرف الحقيقة، قوي لكنه لا يعرف، والذي يعرف لا يقوى على شيء، لكن ربنا عز وجل كلمة ﴿يقضي﴾ تشير إلى المعرفة والتنفيذ بآن واحد.

ما الفرق بين أن تسأل المفتي وأن تلجأ إلى القاضي؟ يوجد فرق بينهما، المفتي يقول لك: القضية جوابها كذا وكذا، أما القاضي فيصدر قراراً ويحال للتنفيذ، التنفيذ فيه شرطة يقبضون على السارق، القاضي معه حكم تنفيذي، أما المفتي فمعه حكم استشاري، فرق كبير جداً، فربنا عز وجل إذا الله حكم بين الناس لا يقول لأحدهم: أنت على حق وأنت على باطل، لا، الذي على حق يرفع شأنه، والذي على باطل يخسف به الأرض، هناك فرق، حكم الله غير حكم عبد الله، الله عز وجل إذا حكم نفذ.

أحياناً يحكم على إنسان أنه على حق فيرفع شأنه، يقويه؛ ويحكم على إنسان مبطل أنه على باطل فيضعفه، يبطل عمله، يضعفه، عندما حكم الله بين النبي وأعدائه، ما معنى حكم الله؟ أي أنت على حق وأنتم على باطل، فالله رفع شأن النبي ونصره، وهؤلاء خذلهم وجعلهم في مزالل التاريخ، وانتهى الأمر، إذا الله حكم غير عبد الله، إذا حكم الله فحكمه مع التنفيذ الكامل،

تأخذ حَقَّك كاملاً، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فأنت بطولتك أن تكون على حق.

من كان على حق رفعه الله ونصره ومن كان على باطل خذله وابتعد عنه:

الله عز وجل قال: فَتَوَكَّلْ يَا مُحَمَّد.

**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)**

سورة النمل

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)

سورة الأنعام

قوتك تستمدُّها من الله، فإذا كنت مع الله انتهى كل شيء، إن لم تكن معه مشكلة كبيرة جداً.

الآن كل أنواع الخلافات؛ خلافات في العقائد، خلافات في النظم، خلافات في القيم، يجوز في مجتمع أن يكون هذا الشيء ليس عاراً، الآن في المجتمعات الغربية عملية الزنا أهون من تناول حبة سكر، شيء لا يحاسب الإنسان عليه إطلاقاً، شيء طبيعي جداً، معنى هذا أن هذا مجتمع فاسد، إذا صار هناك خلاف بالعقائد، أو خلاف بالنظم، أو خلاف بالقيم، أو خلاف بالحقوق، أو خلاف بالتطبيقات، أو خلاف بالوسائل، إذا صار خلاف بين بني البشر فالحكم لله، الله عز وجل حكمه تنفيذي، أنتم على حق يرفعكم وينصركم ويؤيدكم؛ وأنتم على باطل يخذلكم.

**امتحان الله عز وجل للعباد:**

لكن ربنا لحكمة يريدنا أحياناً يسمح للباطل أن يجول جولة لكي يمتحن الناس، هناك أناس إذا قوي الباطل يأخذون به، ينسون الحق، هم مع الأقوى وليسوا مع الحق، فهذه مرحلة استثنائية لأن الله قال:

**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)**

سورة الإسراء

يسمح للباطل أن يعمل جولة أو جولتين، يمتحن فيها الناس، من مال معه رغبةً فيما عنده وفي قوته فقد سقط من عين الله، ومن بقي على إيمانه وعلى ورعه واستقامته فقد ارتفع في عين الله.

## الحكمة من كون الأنبياء ضعفاء:

أساساً هناك نقطة مهمّة جداً قد تغيب عن معظم الناس، لماذا كان الأنبياء ضعافاً؟ لم لم يكونوا أقوياء؟ لو كانوا أقوياء ودعوا الناس إلى شيءٍ ما لأقبل الناس كلهم على تصديقهم، لكن هذا ليس تصديقاً وليس إيماناً لكنه خوفٌ منهم، لكن جعلهم ضعفاءً لحكمةٍ رائعة، بحيث أنك يمكن أن تتهم النبي بالكذب، أو بالجنون، أو بالسحر، أو الشعوذة، أو الشعر، وتنام مساءً ناعم البال، لذلك الذي يؤمن بالنبي له عند الله مقامٌ كبير، ما آمن به لا خوفاً ولا طمعاً، لأنه لا يوجد عنده شيء يعطيك إياه، وأوضح موقف عندما كان النبي عليه الصلاة والسلام يمر على آل ياسر وهم يُعدّون، فلا يستطيع أن يفكّهم من تعذيبهم فيقول عن جابر بن عبد الله:

**صبراً آل ياسر ، فإنّ موعدكم الجنة.**

فقه السيرة : خلاصة حكم المحدث : حسن صحيح

والدليل الآخر عندما كان النبي في الطائف سُخر منه، وكذّب، وضُرب، هو رسول الله، الحكمة العظيمة من كون الأنبياء ضعفاء من أجل أن تكون قيمة الذين يؤمنون بهم عالية جداً، آمنوا بهم لا عن خوف ولا عن طمع، هم ضعفاء وليس معهم الدنيا.

## القوة والمال يأتیان ويذهبان أما الذي يبقى فهو أن تكون على حق:

الناس أحياناً يقبلون على الشيء إما خوفاً طلباً لسلامتهم، أو طمعاً بما عند هذا القوي، إما خوفاً من بطشه أو طمعاً بما عنده، النبي جعله الله ضعيفاً في البدايات لحكمةٍ أرادها حتى الذي آمن به ليكون إيمانه عظيماً جداً، لأنه ما آمن لا عن خوف منه، ضعيف، ولا عن طمع في دنيا، كان لا يوجد عنده دنيا.

**قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21)**

سورة الجن

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)

## قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13)

فإذا كان الإنسان مستضعفًا لا مانع، له الشرف، نبينا كان في مرحلة مستضعفًا، المشكلة أن تكون على الحق، القوة والمال يأتیان ويذهبان، أما الذي يبقى فهو أن تكون على حق.

### العبرة بخواتم الأعمال:

أنا خطر في بالي أنه صلى الله عليه وسلم سيدنا رسول الله في البدايات قال: عن أنس: لقد أوديت في الله وما يؤدي أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال.

مختصر الشمائل : صحيح

تعال الآن اشهد مقام النبي عليه الصلاة والسلام، ترى الناس من كل حدبٍ وصوب، من كل الملل والنحل، لم يروه، ولم يجتمعوا له، ولم يأخذوا من عطائه، مضى على وفاته ألفٌ وخمسمئة عام ومع ذلك ذكره يعطر المجالس، يأتون إليه من أطراف الدنيا، يقفون أمام قبره يبكون، ويناجون، ويتأثرون، ما معنى ذلك؟ العبرة ليست بالبداية بل في النهاية.

ألم يكن في الطائف مستضعفًا؟ ألم يضرب في الطائف؟ ألم يكذب في الطائف؟ ألم يسخر منه في الطائف؟ ألم يقل:

**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وهواني على الناس، أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.**

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد": وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات

إذا كان سلطان كبير يحكم ثلثي الأرض جدد شيئاً بمقام النبي يكتب: الفقير إليه تعالى، أحقر الوري، ليس له ذكر أمام النبي عليه الصلاة والسلام. لذلك أيها الأخوة؛ العبرة لا بالبدايات بل بالنهايات، العبرة بخواتم الأعمال، العبرة أن تكون لك بداية محرقة حتى تكون لك نهاية مشرقة، فالعبرة فيما يُختم عملك، الدعاء: "اللهم اجعل خير أعمالنا أواخرها، وخير يومنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عنّا".

إذاً:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنْيَبُ﴾ (10)

سورة الشورى

لو كان هناك خلاف لا مانع، العبرة أن تكون على حق لأن الله هو الحق، وسوف يُحقُّ الحق، الباطل له جولات ثم يضمحل، وقد تطول جولته حتى سبعين عاماً ثم ينهار، هذا الباطل، الباطل باطل، العبرة أن تكون على الحق وانتهى الأمر، الله مع الحق لأنه هو حق، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ حكمه إلى الله أي أن الله سبحانه وتعالى يحكم وينفِّذ، أحياناً شخص يحكم يقول لك: والله لم نستطع تنفيذ الأمر.

أحياناً الإنسان يستصدر حكماً ضد جهة قوية ولا يُنفِّذ الحكم، لكن ربنا عزَّ وجل يحكم وينفِّذ، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنْيَبُ﴾ إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله.

من أخلص لله كان الله معه:

إلا أن هناك نقطة دقيقة: أنا أشعر أن المؤمن لا يستطيع التوكل التوكل الكافي إذا كان عليه شوائب، إذا كان هناك مخالقات، إذا كان هناك معاص، لأن هذه المعاصي تحجبه عن التوكل، لكنه لو كان على الحق مئة بالمئة، لو كان مصطلحاً مع الله مئة بالمئة، لو كان مقيماً لأمر الله مئة بالمئة، لو لم تأخذه لومة لائم في الله مئة في المئة وأصابه مكروه يقول: يا رب إني مغلوبٌ فانتصر لدينك، أي أروع ما في التوكل أنك تشعر أنك أقوى إنسان، لأن الله معك، ومن كان الله معه فمن ضده؟! أي إذا كان الله معك فمن عليك؟ أي إذا أنت مجتهدٌ عُزَّ ووالدك قائد الجيش، من يجرؤ أن يكلمك بكلمة؟ إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟ لا يوجد معك أحد، إذا الخالق ضدك انتهى، يهيئه أقرب الناس إليه، أحياناً زوجته تهينه، أحياناً ابنه يهينه إذا غضب الله عزَّ وجل على إنسان، لذلك الدعاء الشريف: عن عبد الله بن عمر:

اللهم إني أعوذُ بك من زوالِ نعمتِكَ، وتحوُّلِ عافيتِكَ،

وفجأةٍ نقمتِكَ، وجميعِ سخطِكَ.

صحيح الألب المفرد : حكم المحدث: صحيح

أحياناً تأتي المصيبة فجأةً إما بمرض عضال، أو بإهانة شديدة، أو بفقر مُدقع، فإذا كان الله مع الإنسان لا يخاف، أعداؤه تخدمه، انظر إلى هذه النقطة، وإذا تخلى الله عنه أقرب الناس إليه يخذله، من كان من صلبه، من أخلص لها طول عمره، تقف منه الموقف اللئيم، أحياناً الزوج مثلاً يعصي الله إرضاءً لزوجته، لا بأس، يمرض، فإذا يُست من شفائه تقول له: طلقني، الحياة معك لا تطاق، هذا الجواب، لأنه عصى الله من أجلها فكانت من الأُم الناس تأديباً له.

من اعتمد على الله تولى الله أمره ومن اعتمد على نفسه تخلى الله عنه:

النقطة الدقيقة يا أخوان، هل تعرفون يوم بدر؟

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ فَاثِقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123)

سورة آل عمران

وهل تعرفون يوم حنين؟

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)

سورة التوبة

وأنا أقول لكم: في حياة كل واحد منّا باليوم الواحد عدة أيام بدر وحنين، إذا قلت: الله وأنا لا شيء. هذا ليس تأديباً، هذه حقيقة، الله يتولاك، وإذا قلت: أنا؛ إما بخبرتك، أو بشهادتك، أو بعلمك، أو بمالك، أو بقوّتك، أو بصحّتك، إذا قلت: أنا، الله يتخلى عنك، فأنت بين حالين: بين حال التولية والتخليّة، فإذا اعتمدت على الله تولى أمرك، وإذا اعتمدت على نفسك تخلى عنك.

الأخذ بالأسباب من لوازم التوكل على الله عز وجل:

إذا:

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنْيَبُ (10)

سورة الشورى

إلا أنها أيها الإخوة تتوكّل على الله عزّ وجل من دون أن تأخذ بالأسباب فهذه معصية كبيرة، لأنه استخفافٌ بنُظم الكون، الله وضع للكون نظاماً، فأنت حينما لا تأخذ بالأسباب

تستخفّ بهذه النظم، لذلك من لوازم التوكُّل أن تأخذ بالأسباب، ودرس الهجرة درس دقيق جداً بين أيدينا.

النبى عليه الصلاة والسلام سار مُساحلاً، وهناك إنسان لمحو الآثار، إنسان لتتبع الأخبار، إنسان لجلب الطعام، استأجر خبيراً من الدرجة الأولى، أخذ بكل الأسباب ثم توكَّل، هذا موقف المؤمن، إن أخذت بها واعتمدت عليها فقد أشركت كشأن الغربيين، وإن لم تأخذ بها كشأن الشرقيين، نحن أمة محمد مرحومة، من سيئ لأسوأ، وإن لم تأخذ بها فقد عصيت، أما كمؤمن فيجب أن تأخذ بها وأن تعتمد على الله، فالتوكُّل من لوازمه أن تأخذ بالأسباب.

سيدنا عمر رأى قوماً في مكّة فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: "نحن المتوكِّلون" قال: "كذبتم، المتوكِّل من ألقى حبةً في الأرض ثم توكَّل على الله"، فالتوكُّل يحتاج إلى أن تأخذ بالأسباب.

على المؤمن أن ينفذ أمر الله عز وجل وقلبه مع الله:

لذلك عندما حكم عليه الصلاة والسلام بين رجلين، الذي حكم عليه قال: **حسبي الله ونعم الوكيل**، فالنبى تألم من هذا الكلام، هذه كلمة حق أريد بها باطل، طالب لم ينجح، ما درس يوماً واحداً، فإذا سئل: لماذا لم تتجح؟ فيجيب: هكذا ترتيب الله، ما هذا الكلام؟ هكذا يريد الله؟ أنا هل يمكنني أن أفرّ من قضائه؟ هذا الكلام جدل، فعندما قال هذا الشخص: "حسبي الله ونعم الوكيل، عن عوف بن مالك أنه حدّثهم أنّ النّبىّ صلى الله عليه وسلّم قضى بين رجلين، فقال الْمُقْضِي عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ اللَّهَ لَوْمٌ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنَّ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.**

أبو داود، أحمد

إذا أنت بذلت الجهد المستطاع ولم تتمكن من الوصول إلى هدفك فقل: حسبي الله ونعم الوكيل. أما قبل أن تقولها فيجب أن تأخذ بالأسباب، إذا التوكُّل أيها الأخوة يحتاج إلى أن تأخذ بالأسباب، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هذه الإنابة أي الرجوع إلى الله، إما الرجوع إلى أمره، أو رجوع بقلبك إليه، أي إما رجوع ائتمار أو رجوع إقبال، وكلاهما تعتمد الآية، في قضية، ما حكم الله فيها؟ أنت رجعت إلى الله في هذا الحكم، لأنه هو المرجع، أو حينما صليت أقبلت عليه، ما منحت قلبك لأحد، قلبك لله عز وجل، "لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكرٍ خليلي، ولكن أحمّ وصاحبٌ في الله" القلب لمن؟ لله، ﴿إِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ إما أن ترجع إليه في الحكم والأمر والنهي، أو أن ترجع إليه بالقلب، فالمؤمن ينفذ أمر الله وقلبه مع الله.

## بطولة الإنسان أن يكون مع كلام الله عز وجل:

إذاً: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الخلاف قائم أينما ذهبت، أينما حللت، في أي بلد عشت، في أي مجتمع أقمت، لابدّ من اختلاف وجهات نظر، والخلاف مثلما قلنا بالعقائد، والنظم، والمبادئ، والقيم، والأسباب، والعلاقات الاجتماعية، وطرق التربية، فتجد الإنسان يربي ابنه على التقلّد يقول لك: أحب أن تكون شخصيّة قويّة، وإنسان يربيه على طاعة الله ورسوله، إنسان يطلق لابنته العنان، يقول لك: هي مستقلّة في شخصيتها عني، يظن نفسه أباً مثالياً، لا يحاسبها أبداً، فهناك خلاف في طرق التربية، بالنظم، بالقيم، بالمبادئ، بالعقائد، ولكن البطولة أن تكون مع الحق، مع كلام الله عزّ وجل، لأن الله هو الحق وسيحقّ الحق.

## نظام الزوجية:

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ

فِيهِ (11)

سورة الشورى

من أوجه المعاني لهذه الآية: ﴿يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ أي يكثركم بهذا النظام نظام الزوجية، لو لم يكن هناك نظام الزوجية، لو خلق الله مثلاً مليار طن خيار ولكن لا توجد بذور لا يبقى شيء، لو خلق الله من كل مادة مليار طن واستهلكناها انتهى الأمر، لو خلق مليون إنسان، مليار إنسان لكن لا يوجد نظام الزوجية ينتهي.

## المرأة فطرها الله عزّ وجل لتكون مكمّلة لزوجها:

الله عزّ وجل قال: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ انظر هذه الآية ما أدقّها! أي زوجتك بشر، إنسان، لها عقل، لها فكر، لها مشاعر، لها أحاسيس، تغضب وترضى، تحب وتكره، يسعدها أن تكون زوجاً لها، ويغضبها أن تكون مقصراً في حقّها، إنسان لها مشاعرها، ولها قيمها، ولها طموحاتها، ولها ما يؤلمها، مثلك تماماً، ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، إلا أنها متكاملة معك، أي ما زاد في عاطفتها وقلّ في قوة إدراكها لصالح مهمتها، وما زاد في قوة إدراكك وقلّ في انفعالاتك لصالح مهمتك، أنت خارج المنزل وهي داخل المنزل، فنقص كمال وليس



نقص نقص، إذا نقص شيء من قوة إدراكها وزاد هذا في قوة عاطفتها، وحدها على أولادها، وغيرتها على زوجها، وتلقيها عن زوجها، هكذا فطرها الله عز وجل لتكون مكملةً لزوجها، وعندما جعل الزوج قوة إدراكه أقوى، وجلده أقوى، وعضلاته مفتولة، وقوة تحمله أشد، هذه من أجل أن تكملها، تكمله ويكملها، قالت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن تركتهم إليه ضاعوا" هو يكسب وأنا أربي.

## نظام التوالد على مستوى النبات والحيوان والإنسان نظام رائع خلقه الله تعالى:

قال: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ أي يكثركم بهذا النظام، نظام الزوجية نظام رائع، الزوجية، على مستوى النبات، على مستوى الحيوان، على مستوى الإنسان، تشتري مهرة - حصان - تلد حصاناً ثانياً، لا أحد أخذ مركبة فرأى مركبة أخرى صغيرة بجانبها في اليوم الثاني، هذه ليست واردة إطلاقاً، نظام الزوجية نظام التوالد على مستوى النبات والحيوان والإنسان.

## الله واحد أحد بيده مفاتيح كل شيء:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي الله عز وجل واحد في ذاته، واحد في أسمائه، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله.

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12)

سورة الشورى

﴿المقاليد﴾ المفاتيح، مفتاح كل شيء بيد الله عز وجل، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ معنى هذا أن سعة الرزق وقلة الرزق ليس بذكاء الإنسان، ولا بجهده، ولكن بتقدير الله عز وجل، فالتوفيق أفضل من السعي، أنت اسع لكن اطلب مع السعي التوفيق، فإذا لم يحصل توفيق السعي غير هادف، وغير مجد، اسع وتوكل، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: عن عمرو بن أمية:

قال رجلٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: اعقلها وتوكل.

صحيح ابن حبان: حكم المحدث: حسن

وفي درسٍ آخرٍ إن شاء الله تعالى ننتقل إلى بقية الآيات.

**والحمد لله رب العالمين**